الباب الرابع

الانترنت والأمن

أولاً : الأمن الشخصى

ان الإنترنت لم يعد نافذة على العالم فحسب، بل صار يشكل وسيلة خطيرة للدخول إلى خصوصيات الآخرين وبالتالي تم استغلاله لأغراض التخابر العسكري المحض، هذا شيء لا يختلف عنه أحد اليوم أساساً فالجاسوس أو العميل هو نفسه الخائن في كل اللغات، هو الشخص الذي يعي أنه يختار الجهة المضادة لأسباب مادية وأحيانا ثأرية، وهؤلاء يفعلون ذلك عن مغامرة وعن سقوط إرادي، لكن الذي يجري أن العميل الراهن لا يعرف الدور الذي يقوم به لا يعرف أنه يخون ويبيع أسرار بلده لا يعرف أنه ضحية حوار غير برئ، ولا يعرف أن كل كلمة يقولها تمر على عشرات المحللين النفسيين وأنه في فأر تجارب في عالم متناقض ومشبوه وقائع غريبة نشرتها قبل مدة جريدة لوسوار البلجيكية، ربما كانت ستمر مرور الكرام لولا أن مجلة لومجازين ديسراييل اليهودية الصادرة في فرنسا نشرت ملفاً عن عملاء الإنترنت الذين يشكلون اليوم أحدى أهم الركائز الإعلامية للمخابرات الإسرائيلية والأمريكية على حد سواء وهم أشخاص لا يعرفون أنهم يفعلون شيئاً خطيراً، يفتحون الإنترنت، وبالتحديد صفحات الدردشة الفورية لقضاء ساعات في الكلام عن أشياء قد تبدو غير مهمة، وأحياناً تافهة أيضاً، لكنها تشكل أهم المحاور التي تركّز عليها أجهزة استقطاب المعلومات في المخابرات الإسرائيلية والأمريكية؛ لأنها ببساطة تساعدها على

قراءة السلوك العربي، سلوك الفرد خصوصاً الشباب الذين يشكلون على العموم أكثر من ٧٠% من نبض الأمة العربية.

سنة ١٩٩٨م، اجتمع ضابط المخابرات الإسرائيلي موشي أهارون مع نظيره الأمريكي في مقر وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، لم يكن الأمر يعدو اجتماعاً روتينياً، كان فيه الجانب الأمريكي يسعى إلى الحصول على الحقائق التي من عادة المخابرات الإسرائيلية تقديمها للأمريكيين عن الدول المتهمة قبلاً بمحور الشر، وتطلق عليها إدارة البيت الأبيض الدول المارقة لكن الجانب الإسرائيلي كان يبحث عن الدعم المادي لتأسيس مكتب ظل بمثابة الأمل الكبير لموشي أهارون الذي كان من أبرز الوجوه الإسرائيلية المختصة في الشؤون الأمنية العربية.

كان وراء عمليات اغتيال طالت شخصيات فلسطينية في تركيا ونيروبي وساحل العاج وتونس ودول أخرى أوروبية مثل يوغسلافيا سابقاً، وأسبانيا وإيطاليا .

فكرة المكتب كانت تتأسس على نقاط مضبوطة مسبقاً، وبالتالي تبدو واضحة وسهلة تأسيس مكتب مخابراتي متحرك/ثابت عبر الإنترنت وكان الأمر على غرابته يبدو مثيراً للاهتمام بالنسبة للأمريكيين الذين اشترطوا أن يكونوا ضمن الشبكة ومادياً لم تكن إسرائيل قادرة على

ضمان نجاح تجربة مخابراتية عبر الإنترنت من دون مساعدة أمريكية عبر الأقمار الصناعية والمواقع البريدية الأمريكية التي تخدم الشات بكل مجالاته والإقبال عليها من قبل الشباب وبالخصوص من قبل شباب العالم الثالث في القارات الخمس.

وبتاريخ ١ مايو ٢٠٠٢م تم الكشف لأول مرة في جريدة التايمز عن وجود شبكة مخابرات تركز اهتماماتها على جمع أكبر عدد من العملاء أولاً،وبالتالي من المعلومات التي يعرف الكثير من الأخصائيين النفسيين المنكبين على المشروع كيفية جمعها، وبالتالي كيفية استغلالها لتكون معلومة ذات أهمية قصوى وكانت العملية أشبه بفيلم ذو تأثيرات سينمائية محضة، ومبالغات كتلك التي تتكاثف عليها الأفلام الحركية الأمريكية، لكن الحقيقة كانت أن مكتب المخابرات عبر الانترنت تأسس فعلاً سنة ٢٠٠١م، تحت قيادة ضباط من المخابرات الإسرائيلية وكان يترأسه موشي أهارون نفسه،مع ضباط من وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، وامتد إلى العالم من خلال جملة من المعطيات التي كانت تتركز على نفس الهدف الأول: جمع عملاء شباب لخدمة إسرائيل الكبرى وما نشرته مجلة لوماجازين ديسراييل الصادرة في فرنسا يبدو مثيراً للكثير من الدهشة، ربما لأنها نقلت عن ملفات سرية الكثير من التفاصيل التي استطاعت أن تجمعها عن مصادر موثوقة في إسرائيل، حيث أخذت السبق في نشرها وهو ما أثار في النهاية سخط السفير

الإسرائيلي في فرنسا ضد المجلة اليهودية التي اتهمتها الكثير من الجهات اليهودية بأنها كشفت أسرار لا يحق لها كشفها للعدو وهو ما تراه المجلة نفسها الحق في المعرفة بين هذا وذاك كانت القضية الأخطر.

بالنسبة إلينا، لأهمية وخطورة هذه المشكلة يجب أن نعرف معنى مخابرات الإنترنت يقول جيرالد نيرو أستاذ في كلية علم النفس بجامعة بروفانس الفرنسية، وصاحب كتاب: مخاطر الإنترنت هذه شبكة تم الكشف عنها سنة ٢٠٠١م،بالتحديد في مايو ٢٠٠١م هي شبكات يديرها مختصون نفسيون إسرائيليون مجندون لاستقطاب شباب العالم الثالث وبالتحديد الشباب المقيم في دول المحور محور الصراع العربي الفلسطيني من جهة ومن جهة أخرى دول محور أمريكا الجنوبيه فنزويلا، نيكاراجوا.. الخ،والمسألة أخذت منذ سنوات هذا المنحنى المخابراتي انطلاقاً من جملة من العناصر التي صارت تتحدد عليها شخصية العميل من حيث كونه في العادة شخصية معادية للنظام القائم، وأحياناً شخصية عادية ليس لها اهتمامات سياسية لكنها تستطيع أن تعطي معلومات جيدة عن المكان والوضع، وهذا شيء مهم أيضاً وكل من له قدرة على استعمال الإنترنت لسد فراغ أو حاجة نفسية يعد عميلاً مميزاً؛ لأن المواقع التي تثير الشباب هي التي تمنحهم فرصة للحوار ربما يفتقدونها في حياتهم اليومية، ناهيك عن أن استعمال الإنترنت

يضمن خصوصية معينة، حيث يحتفظ المتكلم بسرية شخصه، كأن يستعمل اسماً مستعاراً، وبالتالي يكون إحساسه الرمزي بالحرية أكثر انطلاقاً، والمسألة تبدو سهلة بالنسبة لضباط المخابرات الذين ينشطون بشكل مكثف داخل مواقع الدردشة،خاصة في المناطق الأكثر حساسية في العالم، ولعل أكبر خاصية يمكن اكتشافها في مستعملي الإنترنت في العالم الثالث هو الحاجة إلى الحوار، فعادة ما يكون مستعمل مواقع الشات شخصاً يعاني من البطالة اجتماعياً وفكرياً، وبالتالي يسعى إلى سد وقت الفراغ بالبحث عن أشخاص آخرين يشاركونه أفكاره.

يعتقد بعض المستعملين للإنترنت أن الكلام عن الجنس مثلاً ضماناً يبعد الشبهة السياسية عن المتكلم، بينما حوار الجنس وسيلة خطيرة لكشف الأغوار النفسية،وبالتالي لكشف نقاط ضعف من الصعب اكتشافها في الحوار العادي الآخر، لهذا يسهل تجنيد العملاء انطلاقاً من تلك الحوارات الخاصة جداً، التي تشمل في العادة غرف النوم والصور الإباحية وما إلى ذلك، فهى السبيل الأسهل للإيقاع بالشخص ودمجه في عالم يسعى رجل المخابرات إلى جعله عالم العميل، أي أفيونه الشخصي!

الدكتورة ماري سيجال ترى شيئاً آخر، تقول عبارة مخابرات الإنترنت مصطلح جديد على مسامع الآخرين، رغم حقيقة وجوده فالأمريكيون اعتبروا قبل غزو العراق أنهم يسعون إلى قراءة الشخصية العراقية من

خلال الإنترنت أي استقطاب أكبر عدد من العراقيين بمختلف مستوياتهم لدراسة شخصيتهم وكان ذلك المشروع قيد البدء فعلاً، قبل أن تتسارع الأحداث بغزو العراق بتلك الطريقة.

من وجهة النظر العلمية فإن استقطاب المعلومات لم يعد أمراً معقداً، بل صار أسهل من السابق بكثير ربما في السنوات العشرين السابقة، كان العميل شخصاً يجب تجنيده بشكل مباشر، بينما الآن يبدو العميل شخصاً جاهزاً، يمكن إيجاده على الخط، وبالتالي تبادل الآراء معه ونبش أسراره الخاصة أحياناً، وأسراره العامة بشكل غير مباشر.

هنالك حادثة غريبة نشرها ضابط المخابرات الإسرائيلي/ الأمريكي وليام سميث الذي اشتغل إبان الحرب الباردة ضمن فرقة مخابرات المعلومات، نشر في جريدة الواشنطن بوست أجزاء من كتابه أسرار غير خاصة عن تجنيد شباب عاطلين عن العمل من أمريكا اللاتينية، كان دورهم في غاية البساطة والخطورة عبارة عن كتابة تقرير عن الأوضاع السائدة في بلدانهم.

وذكر وليام سميث أن أحد الشباب الناقمين على النظام في إحدى دول جنوب أمريكا ذكر في إحدى اللقاءات على الشات لضابطة مخابرات كان على الخط معه عبر الشات أن ثمة إشاعات مثيرة تدور بين الناس أن سعر البنزين وبعض المواد الغذائية سوف يرتفع في الأيام القادمة

فسألته الضابطة وماذا يعني ذلك؟ كل يوم ترتفع الأسعار في العالم، فرد عليها الشاب أنت تمزحين، سيثور الناس هذه المرة ويقومون بثورة ضد النظام كانت تلك المعلومة البسيطة والمهمة لا تعني أن الأسعار سترتفع، بل أن تسارع جهات من الخارج إلى رفعها وإلى إثارة الناس بشكل حقيقي عملية الفوضى عبرها، وهو الشيء الذي تم تنظيمه في جمهورية جورجيا حين تم الكشف عن شبكة تنشط عبر الإنترنت قامت بحشد مجموعة من النشطاء الذين استطاعوا أن يقوموا بعمليات كثيرة ضمن الثورة الملونة مؤخراً .

الإنترنت لم يعد نافذة على العالم فحسب، بل صار يشكل وسيلة خطيرة للدخول إلى خصوصيات الآخرين وبالتالي تم استغلاله لأغراض مخابراتية عسكرية محضة، هذا شيء لا يختلف عليه أحد اليوم أساساً تضيف الدكتورة ماري سيجال: نحن نتساءل عمن يستعمل الإنترنت عادة؟ من الصعب الرد على السؤال؛ لأن الذين يستعملون الإنترنت تتراوح أعمارهم من السادسة إلى الثمانين عاماً، ولهذا يصعب تحديد أسباب الاستعمال خارج ما نسميه أساساً بالرغبة في كسر حاجز المسافة أولاً، وبالتالي الحوار,ما يثير اهتمامنا في المعهد البلجيكي لخدمات الإنترنت هو أن نركز على نقطة مهمة، وهي: لماذا نستعمل الإنترنت؟ هل لتصفح البريد أم لتصفح العالم؟ في هذه النقطة يجب القول إن العالم

لم يعد واسعاً طالما الإنسان الجالس في مقعده يمكنه زيارة واشنطن ونيودلهي في برهة عين، دون أن يغادر مقعده هذا شيء عظيم تم إنجازه، إلا أن النتائج كانت فادحة؛ لأن استغلال هذه الشبكة الضخمة تم تعريضه لعوامل خارجية على أساسها تحول الانترنت إلى سد فراغ أو تسلية سرعان ما انقلبت إلى مأساة حين عجز الإنسان عن فعل شيء سوى الدخول إلى مواقع الدردشة التي لن يخرج منها إلا بإحساس أنه أضاع وقتاً عليه تداركه بالدخول إلى دردشة أخرى دون أن يسأل نفسه عن ماذا يجب أن يتكلم أساساً

هل تهدد شبكات التواصل الإجتماعي الأمن القومي ؟!

يرى البعض أن هناك نوع من التهويل والتضخيم فيما يخص تأثير شبكات التواصل الإجتماعي لكن المشكلة ما قد يراه البعض من تقليل حجم وتأثير هذه الشبكات فلو أمعنا النظر في هذا النوع من الإعلام لوجدنا أن له تأثير سياسي وإجتماعي وإقتصادي كبير وقد تطور الأمر ليصبح إعلاماً بديلاً وصحافة جمهور بدلاً من الصحافة التقليدية فبالنسبة للتأثير السياسي فشبكات التواصل الإجتماعي اليوم تصنع رأيا إستباقيا في جميع القضايا وقد تقود هذه الأراء إلى رد فعل إستباقي أيضاً وقد رأينا كيف أن شبكات التواصل الإجتماعي ساهمت بصورة كبيرة في إسقاط أنظمة كانت مستقرة لأكثر من ٢٠ عاماً أما بالنسبة للجانب

الإقتصادي فمن الواضح جداً توجه الحملات الإعلامية نحو هذه الشبكات والإبتعاد عن الإعلام التقليدي ، وكذلك تأثير إطلاق الإشاعات الإقتصادية على هذه الشبكات على أكبر إقتصاديات العالم وإجتماعياً ساعدت شبكات التواصل الإجتماعي في تكوين معظم المبادرات الإجتماعية سواء كانت محلية أو عالمية ومن الأجدر أن نقول أن شبكات التواصل الإجتماعي هي من تقود التغيير بمعناه الشامل الآن إقتصاديا أو أوسياسيا أو إجتماعيا .

وعندما نتحدث عن تهديد الأمن القومي نتحدث عن ذلك إقتصادياً وإجتماعياً وسياسياً هكذا يبدو ، لكن في الوطن العربي سيظل موضع النقاش هو الجانب السياسي بسبب تغير خريطة العالم العربي بعد التقلبات السياسية التي شهدتها المنطقة والتي ساهمت فيها شبكات التواصل الإجتماعي أو الإعلام الجديد بشكل كبيرلكن قبل وصف شبكات التواصل الإجتماعي بأنها تهدد الأمن القومي لابد أن نتحدث أولا عن أسباب التحول نحو الإعلام البديل ، هناك الكثير من الأسباب ولكن أحد أهم هذه الأسباب هي الحرية المطلقة التي تكفلها الإنترنت اليوم رغم المحاولات اليائسة لتقييدها حيث لم يجد المواطن بديلاً إلا الإنترنت والشبكات الإجتماعية لنقل قضاياه والبحث عن المعلومات التي توفرها شبكات التواصل الإجتماعي من قلب الحدث بالصوت والصورة والتي

عجز الإعلام التقليدي عن نشرها إما بسبب الرقابة التي تحظر أحياناً صدور بعض وسائل الإعلام التقليدي أو بسبب الأفضلية التي توفرها الإنترنت لهذا النوع من الإعلام ، إن عدم صدق الإعلام التقليدي وعدم حياده أحياناً في نقل المعلومة هو أحد الأسباب أيضاً التي أدت إلى هذا التوجه نحو إستخدام شبكات التواصل الإجتماعي ويكمن التهديد الأساسي في هذه الشبكات فى أنه من الصعب جداً السيطرة على هذا النوع من الإعلام أو على ما ينشر فيه مهما كانت الأسباب أو الوسائل المستخدمة وأيضاً في تكوين شبكات التواصل الإجتماعي للرأي العام وقد تصبح الحكومات مستقبلاً دون صحافة تدعمها إذا إعتمدت على وسائل الإعلام التقليدي .

كثرت التحاليل والتفسيرات في العالم العربي بخصوص دور شبكات التواصل الاجتماعي، كأدوات ساهمت في التغييرات السياسية التي شهدتها المنطقة العربية وبناء على هذه المعطيات، فقد ساهمت هذه الشبكات الاجتماعية في تحفيز المواطنين على أخذ زمام المبادرة في عملية التغيير السياسي، بدلا من الحركات العمالية والأحزاب السياسية التي فشلت في خلق وإدارة عملية التغيير السياسي ضمن قواعد اللعبة الديمقراطية.

من زاوية التحليل السياسي، فإن المراقب والمتتبع لمجريات الأحداث

في بلدان الربيع العربي يجد نفسه محاطا بمجموعة من التساؤلات المشروعة، حول الدور السياسي الذي قامت وما تزال تقوم به مواقع التواصل الاجتماعي في بعض البلدان العربية،خاصة وأننا سمعنا هنا وهناك تسميات من قبيل ثورة الفيسبوك وثورة تويتر فهل فعلا، قادت مواقع التواصل الاجتماعي الحراك السياسي في المنطقة العربية؟ وأسهمت في إعادة ترتيب الفسيفساء السياسي لعدد من البلدان العربية وفي مقدمتها تونس، ومصر، وليبيا ،واليمن، وسوريا ؟.

لا يخفى على أحد، أن نتائج التطور التقني والتقدم العلمي الذي تعرفه البشرية، حولت العالم إلى قرية صغيرة ذات أبعاد كونية عابرة للجغرافيا والثقافة والتاريخ عالم تتداخل فيه العلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية،إلى درجة أن الحديث عن مسألة السيادة الوطنية واستقلال القرار السياسي والاقتصادي،لم تعدو كونها أضغاث أحلام يحتاج تطبيقها لمعجزة ومن بين عوامل شد وتثبيت أواصر مكونات هذه القرية الكونية نجد الشبكة العنكبوتية المعروفة باسم الانترنت بأدواتها المتنوعة، والتي تتطور أشكالها يوماً بعد يوم، ومساهمتها في جعل العالم مسطح على حد تعبير توماس فريدمان وفي قلب هذه الشبكة العنكبوتية شبكات التواصل الاجتماعي خاصة الفيسبوك وتويتر التي يعتبرها البعض كتجسيد واقعي للمواطنة العالمية لأنها تعمل على ترسيخ فلسفة حقوق الإنسان والمبادئ الديمقراطية تطور نظر إليه البعض، على أن له انعكاسات

مهمة لأنه بدأ يتدخل في هندسة الشئون السياسية،كسلطة خامسة تتنافس مع الإعلام التقليدي والسلطات السياسية، في عملية إدارة و توجيه الرأي العام تستطيع هذه السلطة الهروب من الرقابة والتضييق .

هذا الواقع الإلكتروني أحدث تغييرا في موازين القوى بين المواطن والسلطة، عبر تقوية فاعلية الفرد في مواجهة السلطة، وهذه الفاعلية أخذت شكلين رئيسين.

الشكل الأول، يكمن في القدرة على الولوج إلى المعلومة، فمن يملك المعلومة يملك قدرا من السلطة، لأنه يكون قادراً على إحداث تأثير معين ففي حين، كانت السلطة السياسية للدولة تملك المعلومة وتتحكم في تدفقها، وبالتالي تصب في اتجاه تكريس سلطتها وتسويق إيديولوجيتها أتاحت الشبكات الاجتماعية، للأفراد العاديين الوصول إلى المعلومات بشتى أنواعها، إلى الدرجة التي لا يمكن للدولة تجاهلها أو التحكم فيها بل أهم من ذلك، جعلت من المواطن العادي مناضلاً سياسياً عبر إبداء الرأي في الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي اليوم، أصبحت الدولة تواجه باستمرار ضغط الرأي العام المدعوم من سلطة العالم الافتراضي وبالتالي، أصبح الفرد عبر وسائل التواصل الاجتماعي أداة رقابة وتوجيه مؤثرة في سياسات وقرارات المؤسسة السياسية وبناء عليه أصبحت السلطة السياسية للدولة مطالبة بنهج جديد يستند على أحد خيارين الحضور القوي على شبكات التواصل الاجتماعي، لتحسين

صورتها، أو لتحويل الأفكار السلبية التي يمكن أن تتشكَّل لدى الرأي العام إلى إيجابية عبر التفاعل معهم بطريقة مثلى، واستثمار كل استراتيجيات التواصل السياسي وخيار العمل على وقف تدفق المعلومات والمعطيات ومحاولة السيطرة عليها وهذا الخيار الأخير لا يعدو كونه محاولة فاشلة لا تقوى على مجابهة الطوفان ، فلا يمكن لأي سلطة سياسية الوقوف أمام هذا الكم الهائل من المعلومات والسيطرة عليها، ومن أبرز الأمثلة حرب المعلومات بين الصين وشركة محرك البحث جوجل وهي محاولة فاشلة للعودة للسيطرة على المعلومات والتحكم في تدفقها وبالتالي، فالحضور الفاعل لدى مختلف المؤسسات السياسية يعدُّ الخيار الأفضل .

الشكل الثاني، يتمثل في القدرة على الحشد؛ إذ دفعت هذه الوسائل الأفراد العاديين إلى المشاركة في الحراك السياسي عبر تبادل وتشارك الأفكار و المعلومات،وهو ما أدى إلى تراكم عناصر القوة لدى الأفراد في مواجهة السلطة السياسية القائمة والحقيقة، أن تجاوز الفرد لحواجز الخوف من السلطة والقيود التي فرضت عليه من قبل، تعني حدوث تغير نوعى في الحالة النفسية للفرد، نقلته من حالة اليأس والخوف إلى حالة التأثير والأمل في تحسن هذا الوضع فهل يمكن القول،أن ثورات الربيع العربي،هي ثورات شعبية حركتها وسائل التواصل الاجتماعي خاصة الفيسبوك وتويتر،عن طريق قدرتها على حشد الناس وتجميعهم

وتعبئتهم؟ إن المكانة الكبيرة التي أخذتها شبكات التواصل الاجتماعي في نسختها العربية، في نظر البعض أثناء التغيرات السياسية في المجتمع العربي، يدفع المحلل السياسي إلى البحث عن حقيقة دور هذه الوسائط الجديدة في صناعة الحدث السياسي بشكل موضوعي، وبالتالي، فهناك نوع من المبالغة فى تضخيم دور شبكات التواصل الاجتماعي فى تحريك الأمور السياسية يتجاوز واقعها الفعلي.